

فَكَاهَات

رَقَائِصُ

القتيل الحي^(١)

قدم انكلترا في اوائل سنة ١٨٧٠ طبيب يدعى الدكتور لانا فاقام بقرية من ضواحي ليثربول ولم يكن الناس يعرفون من احواله سوى انه درس الطب في كلية غلסקو وكان لونه اسمر ضارباً الى السواد وعيناه براقتين وحاجباه كشيفين فلقبوه لذلك بالطبيب الاسود . وبعد اقامته بتلك القرية مدة من الزمن ظهرت منه براعة في الطب والجراحة وكياسة في المعاملة فاحبه السكان واهل الجوار وصاروا يعولون عليه في معالجة مرضاهم ويرحبون به في منازلهم فزهت حاله ورفهت معيشته وعظم قدره وضحكت له الدنيا بعد العبوسة فاقتى عربة واتخذ له منزلاً انيقاً فاخر الرياش وخادمة وخادماً . وكان الى ذلك العهد لم يزل عزباً فلما استقر به المقام وحسنت حاله خطب فتاة ذات حسن رائع وادب وافرتدعى مس فرانس مورتون وهي يتيمة ليس لها في الدنيا سوى اخ واحد وكانت قد رأت الطبيب في حفلة انس فوق وقع الحب بينهما وانتهى الامر بان خطبها على ما بينهما من تفاوت السن لان عمره كان ٣٧ سنة وعمرها ٢٤

(١) ملخصة عن الانكليزية بقلم خليل افندي الجاويش

وقبل ان يحلّ اجل الزفاف بشهر وردهُ صكتاب من بوانس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية وكان اول كتاب وردهُ بعد قدومه الى انكاترا فلما قرأهُ تغيرت حالهُ واضطربت افكارهُ وقضى ذلك النهار وليلتهُ وهو يضرب اخماساً لاسداس . ولما كان صباح اليوم التالي سار الى منزل خطيبتهُ فجلس اليها وحادثها ملياً ثم انصرف وهو كاسف البال وظلت الفتاة في غرقها طول ذلك النهار وادمعها تنحدر على وجنتيها وبعد اسبوعٍ شاع في القرية ان الطبيب فسخ خطبتهُ وتواتر على الألسنة ان شقيق الخطيبة المدعو آرثر مورتون حقد عليه واضمر له الشر ولكن لم يعرف احدٌ سبب فسخ الخطبة ولا سبب حقد الفتى على الطبيب ولكنهم قرأوا في احدى المجلات الطبية الشهيرة اعلاناً مفادهُ ان طبيباً في القرية يريد بيع مستوصفه الطبي فظنوا انهُ الدكتور لانا المذكور

ومضى على ذلك ايام قلائل والطبيب ملازم لغرفته لا يخرج من منزله نهاراً ولا ليلاً ولا يراهُ احدٌ حتى اذا كان في احدى الليالي في مكتبه يطالع ويكتب وقد قارب انتصاف الليل سمعت خادمتهُ صراخاً عندهُ فاسرعت الى حجرتهِ وقرعت الباب وقالت هل لك من حاجة يا سيدي . فاجابها صوتٌ اجشٌ من الداخل لا حاجة لي ارجعي الى مكانك فرجعت الى حجرتها وهي متعجبة خائفة ولكنها عرفت ان الصوت صوت مولاهُ نفسه . وبعد عشر دقائق اتت امرأة لتدعوه لعيادة مريض عندها وكانت غرفتهُ لا تزال منارةً وقرعت الباب فلم يجبها فرجعت وفي رجوعها رأت الفتى آرثر مورتون داخلاً الى المنزل وعيناهُ تقدحان شرراً . ولما

اصبحت عادت لتدعو الطبيب فرأت الفتى عينه قرب سور المنزل وعند ما وصلت الى مخدع الطبيب رأت ان المصباح لم يزل مناراً في المكتب فقرعت الباب فلم تسمع جواباً ونادت فلم تلقَ سميعاً . فوضعت عينها على خرق في النافذة واجالت بصرها في الغرفة فرأت ذراع رجلٍ ملقاةً على الارض وباقي جسمه وراء ستار . فهرولت الى الخادمة واخبرتها بالامر فجاءتا كلتاها وفتحتا الباب وكان مغلقاً دون اقفال ودخلتا فوجدتا قرب المائدة جثة باردة هي جثة الدكتور لانا بعينه وهو ملقى على ظهره واحدى عينيه منتفخة سوداء وفي وجهه وعنقه آثار رضوض شديدة فتبادر الى ذهنيهما انه قُتل خنقاً وكانت عليه الملابس التي يتلقى بها المرضى وعلى بساط الغرفة وعتبة الباب آثار حذاءٍ قدر ملطخ بالوحل . فلما رأتا ذلك صاحتا واسرع الخادم على صياحهما ولما رأى مولاه في تلك الحال خرج لساعته واخبر رئيس الشحنة بما حدث فنهض للحال وسار معه . ولما وصل وشرع في فحص الواقعة لم يجد شيئاً مسروقاً من المنزل ووجد ساعة الطبيب وهي من ذهب في جيب صدرته وهي لم تزل دائرة . ولكن الخادمة نهته الى فقدان صورة خطيبة القتيل وكانت هذه الصورة موضوعة في كفافٍ (برواز) فاخر فوجد الكفاف ولم توجد الصورة . وعليه وجه التهمة الى شقيق الخطيبة والقي القبض عليه وحبسه لما قام ضده من الدلائل والقرائن المشار اليها آنفاً ولما استنطقه عن وجوده في مساء تلك الليلة وصباحها بالقرب من غرفة القتيل اجاب انه كان قادماً الى منزل الطبيب ليكلمه في بعض الشؤون المهمة ففرع عليه فلم يجبه وعاد في الصباح فكان كذلك ففقل راجعاً الى منزله

ثم بلغه خبر قتله كما بلغ غيره من أهل القرية
وبعد أيام جرى استنطاق الشهود فذكر بعضهم زيادة على ما تقدم
ذكره ما كان يتفوه به المتهم في حق القتل على اثر فسخ الخطبة وشهد
غيرهم بان المتهم كان عالماً بان الطبيب يطيل السهر في مكتبه فاغتم الفرصة
وبطش به في خلال الليل . ولما اوشكت الجلسة ان تحتم دون ان يستطيع
محامي المتهم اقامة ادلة ساطعة على براءته دخلت شقيقته وعلائم الانفعال
بادية على وجهها فسئلت عما كان بين اخيها والقتيل وهل كان حاقداً عليه
بعد فسخ الخطبة فقالت نعم ان اخي كان متغيظاً منه اشد الغيظ لجهله
السبب الذي حملة على الفسخ . فقيل لها وهل تظنين ان اخاك هو القاتل .
فقالت لا . فقيل لها ومن هو القاتل اذاً . قالت ان الطبيب لم يقتل
فليس احده له قاتلاً . فشخص الحضور اليها وقد تولاهم الدهول والحيرة
ثم رفع القاضي صوته وقال وكيف يمكن ان ينكر مقتله واين هو اذاً
وكيف تبرهنين على انه لم يقتل . فقالت انه قد بعث اليّ بكتاب على اثر
شيوع خبر قتله ووجود جثته والكتاب عندي غير انني لا أطلع المجلس
عليه لاسباب تخصني ولكن اليكم ظرفه فترون عليه طابع مدينة ليقربول
وتاريخ ارساله في اليوم التالي لوجود الجثة . فقرأه القضاة فاذا هو كما
وصفت تماماً فلم يبق عليهم الا ان يتأكدوا ان الخط خطه وان الرجل لم
يزل حياً فيخرج اخوها بريئاً . وعلى ذلك أرجئت الجلسة الى الغد وتفرق
الحاضرون وهم يقولون اما ان الفتاة كاذبة في دعواها واما ان يكون الطبيب
هو القاتل والقتيل رجل يشابهه في المنظر ولولا ذلك لاطلعت الفتاة هيئة

المحكمة على الرسالة التي وردتها منه فهي اذا تبرئ اخاها وتوقع التهمة على خطيئها

وفي اليوم التالي انعقدت الجلسة ونودي بالفتاة فدخل الدكتور لانا وهو ثابت الجأش ووقف في محل الشهادة والناس ينظرون اليه وهم يكادون يكذبون ابصارهم . وبعد قليل تقدم نحو القاضي وانحنى امامه بتمام الادب والوقار وطلب ان يشرح قصته ويبيدي ما عنده فاذن له القاضي فقال كل من يعرف تاريخ الجمهورية الفضية لا بد أن يعرف ايضاً ان فيها أسرة كريمة المحتد هي أسرة لانا المشهور وانا من هذه الأسرة وكان والدي وهو من اشرف عشائر اسبانيا القديمة قد نرح الى تلك البلاد وتقلد اكبر مناصب حكومتها واخلص الخدمة لها حتى انه لولا الفتن التي نشبت في سان جوان لتولى رئاسة الجمهورية المذكورة . ثم نزلت بوالدي خسائر فادحة فاضطرت انا واخي ارنست ان نشتغل معه في كسب ما يصون ماء الوجه وسدّدت في وجهنا مناصب الحكومة أما اخي هذا فقد كان وياي توأمين وكانت مشابهته لي عجيبية ولا سيما في زمن الصبي على انني كنت اكرهه لسوء سيرته وشراسة اخلاقه وما كان يأتيه من المنكرات التي ثلمت عرضنا وشانت سمعتنا فكان الناس يلصقون بي منكراته ويعزون اليّ قبائحهم ويكرهونني لالذنب الا لكونه يشبهني في الخلق وان كنت لا أشبهه في الخلق . وقد ختم سيئاته بعمل تجاري تورط فيه والقي تبعاته عليّ فاضطرت الى ترك بلادي والمجيء الى اوروبا طلباً للمعاش وكان لم يزل عندي مبلغ من المال فدرست الطب في غلסקو واقمت بهذه البلدة البعيدة حتى لا اسمع شيئاً من اخبار اخي . ومضت

على هذه الحال سنوات كنت فيها وادعاً مستريحاً ولكن الشيطان ابى ان
يديم لي راحتي فلم اخي بأني مقيم هنا من رجل لقيه في بوانس ايرس قادماً
من ليثربول وكان اخي قد خسر ماله كله فظن انه اذا اتى الي قاسمته مالي
واقام معي قرير العين ناعم البال . ولكنه لما كان يريد ان يفاجئني بوصوله
لعلمه بشدة كراهيتي له بعث الي بكتاب يلغني فيه انه قادم الى انكلترا
وكنت انا قد خسرت في بعض المضاربات فخشيت ان يفتضح امري لدى
معارفي اذا وصل اخي وأردت ان اعينه بشيء من المال يساعده على الرحيل
والاشتغال بما يحلوه او اذا اتى منكراً في بلدة حزت فيها مقاماً مكرماً بجدي
وحسن سلوكي فلم اجد سبيلاً الا بالرحيل قبل وصوله تخلصاً من شره
وعاره ولذلك فسخت خطبتي ولم ابين السبب الا لخطيبي فكان ما كان من
تقول الناس في حقى وحقد المتهم علي واغتيالهم مني . وبعد مدة وصل اخي
الى انكلترا وجاءني ليلاً وانا في مكنتي والخدام نيام وكان في الحالة التي
رايتوه فيها وهو ميت فبعد ان حياني نظر الي نظرة دلتي على انه لم يزل
ذلك الغادر الخؤون السيئ السيرة وكانت الساعة العاشرة مساءً فاخذ يخطر
في الغرفة وهو يلعن الزمان واهله ويقول انه اتى من ليثربول ماشياً وانه
تعب مريض وقد اختصم في خلال السفر مع بعض النوتية فاصابته رضوض
في وجهه وعنقه واحدى عينيه . فطابت خاطره وقدمت له بعض الطعام
فاكل ثم عاد يخطر في ارض الغرفة كالوحش الضاري وهو يشتمني ويقول
انني ألعب بالمال في انكلترا وهو يكاد يموت جوعاً في اميركا فاذا لم اقسسه
ثروتي فعل وفعل . ولما رأى انني ساكت او كاتم غيظي امسك بخناق وهم

ان يضربني ويمزق وجهي واذا به قد اغمي عليه فصرخ صرخة المذبوح
 وخرّ على الارض صريعاً. فمددت يدي الى نبضه فوجدته ساكناً فعلمت
 ان مرض القلب الظاهرة دلائله في بدنه قد اماته لساعته بسبب شدة
 تأثره وانفعاله فبقيت نحو ساعة اتأمل في جثته وابكي واذا بالخدمة قد طرقت
 بابي فامرتها بالرجوع الى فراشها ثم قرع الباب ولا اعلم من قرعه فلم أجب
 بكلمة. وبعد ان فكرت ملياً في امري وما حلّ بي من الخطب وطنت نفسي
 على ان اهجر البلدة تخلصاً من القيل والقال فتركت جثة اخي بعد ان البستها
 ملابس ليظن الناس عندما يرونها اني مت على حين بغتة ولبست انا
 ملابساً حتى لا ينتبه اليّ احد في الطريق وحملت تقودي وصورة خطيبي
 وسافرت ماشياً الى ليثربول فبلغتها في الليلة نفسها وتأهبّت للسفر الى بلاد
 بعيدة ولكنني خشيت ان يُتهم احدٌ بقتلي فبعثت الى خطيبي برسالة اعلمها
 فيها بالامر. وبينما انا على وشك السفر وردتني رسالة منها تقول فيها ان اخاها
 قد اتهم بانه القاتل وان دلائل عديدة قامت ضده وأيدت جنايته وقرأت
 في الجرائد مثل ذلك فركبت القطار وعدت راجعاً فوصلت الى هنا في
 صباح اليوم لأبين لكم حقيقة الجناية وقد فعلت فاحكموا بما ترون
 وكان من وراء ذلك ان المحكمة حققت كل ما قاله فوجدته صحيحاً
 فبرأت ساحته تبرئة تامة فعاد الى منزله عزيزاً مكرماً وتصلح مع شقيق
 الفتاة وبعد شهر من الزمان اقترن بخطيبته وعاشوا جميعاً على اتم السرور
 والصفاء